

نظريات تفسير التخلف

هناك العديد من النظريات التي قدمت إسهامات كبيرة وجهود نوعية لتفسير ظاهرة التخلف وتوصيف مظاهرها وتحديد أسبابها، وهذه النظريات اعتمدت في تفسير ظاهرة التخلف على تحميل دور العوامل الداخلية (الهيكيلية والبنوية) الدور الأساسي في تكوين وتفسير ظاهرة التخلف، وسيتم استعراض أربع نظريات هي:

١. النظرية السوسولوجية في تفسير التخلف:

أو النظرية المعروفة بنظرية الاقتصاد المؤسسي في تفسير التخلف.

تتعلق هذه النظرية في تفسير التخلف من دراسة ورصد البنى الاجتماعية وتحليل دورها في خلق أو تكريس واقع التخلف، والمقصود بالبنى الاجتماعية هو العائلة والمجتمع والدين والأيدولوجيات التي تحكم الأعراف والأجناس.

وتعتقد هذه النظرية إلى حد كبير بمسؤولية البيئة البطريركية عن التخلف، فالعادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي التي تسود في البنى الاجتماعية، يمكن أن تلعب دور الكابح لعملية التقدم والنهوض الاجتماعي والاقتصادي.

ولذا فإن رواد هذه النظرية (كامراك، تشارلز، فابلن، هاملتون، غالبرت) يطالبون بضرورة تغيير ثقافة البنى الاجتماعية وسلوكياتها، والتغيير يمكن أن يتخذ أحد

مسارين:

إما عن طريق الصدم والتغيير الجذري ودفعاً واحدة، أو عن طريق التغيير التدريجي الهادئ والبطيء، كي لا يتولد عنه ردّات فعل عكسية تصدر عن الجهات المحافظة المتربصة بالوضع القائم والمستفيدة منه.

٢. النظرية السيكولوجية (النفسية):

يرى أنصار هذه النظرية أن التخلف هو حالة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية، ويرى أنصار هذه النظرية (ماكس ميبير، شوبينتر، ميكلياند، ... الخ) أن أحد أهم الأسباب الجوهرية للتخلف تكمن في غياب الأسباب الإنسانية الحقيقية المحدّدة للنمو، بمعنى آخر: إن أسباب التخلف ناجمة عن عوامل سيكولوجية (نفسية) ملازمة للفرد في المجتمع المتخلف، منها:

- غياب روح المبادرة والإبداع أو سيطرة سيكولوجيا الخنوع والامتثال والطاعة، وعدم حب العمل وتقديس النشاط، إضافةً إلى الميل للاسترخاء وعدم امتلاك حدود أو مستويات دنيا من الطموح.
- غياب طبقة المنظمين والمبدعين.
- غياب المناخ الثقافي والاقتصادي والاجتماعي المحفّز والمشجّع للابتكارات.
- غياب المهارات الفنية في تنظيم المجتمع على أسس وروابط صحيحة.
- ضعف مستوى كفاءة الجهاز الإداري، وعدم وجود كادر فني.

٣. نظرية المجتمع التقليدي في تفسير التخلف:

يعتقد أنصار هذه النظرية أن تخلف الإنسان يظهر من خلال عجزه وفشله في السيطرة على البنية أو البيئة المتفوقة عليه، وهذا الفشل يعود لمجموعة من العوامل والأسباب منها:

تدني كفاءة العمل، وضعف التخصص، وغياب المنظمين، والمبادرين، وتحجر البنية الطبقيّة السببه ببيئة الطوائف، وعدم الاستعداد للمخاطرة أو التفكير بالمستقبل، وغياب آليات الانفتاح على الأفكار وتحليل الظواهر تحليلاً علمياً.

من أبرز أنصار هذه النظرية: (ليبانشتين، تيمبرجر، هجين، بالدوين) ويعتقد هؤلاء بأنه: إذا ما تمّ نقل خصائص وصفات المجتمع المتقدّم إلى المجتمعات المتخلفة، فإنه يمكن للمجتمع أن يتقدّم، فالمجتمع الغربي متقدّم لأنه امتلك القدرة على التنظيم والتخطيط والاستشراف والتفكير بالمستقبل وآمن بالتكنولوجيا واحترام الكفاءات والمبدعين وحفّز على المبادرة والتخصّص والبحث.

٤. نظرية الازدواجية في تفسير التخلف:

تنطلق هذه النظرية في تفسير التخلف من منظور أن السبب الجوهرى الكامن وراء ظاهرة التخلف هو: غياب الترابط والتكامل، بل وجود تناقض بنيوي بين مختلف القطاعات والأقاليم الاقتصادية والاجتماعية والتناقض خاصة بالمنظور السوسولوجي

يعني: تناقض بين نظام اجتماعي اقتصادي غربي مستورد، وبين نظام اقتصادي اجتماعي محلي تقليدي.

النظام الغربي هو نظام عقلاني، علمي، يعتمد على منهج التجريب والشك والتحليل والديناميكية والاستجابة والتكيف وعدم التسليم بوجود مقدّسات أو محرّمات ولا يؤمن بالأساطير والشعوذات وشيوع القَدْرِية والانتكالية، وتحكمه علاقات إنتاج رأسمالية.

بينما النظام المحلي هو: مجتمع تحكمه علاقات إنتاج ما قبل رأسمالية رائدة ومتكّسة، محكوم بالتسليم ويؤمن بالشعوذات والخرافات والأساطير والسلطات الأبوية المطلقة.

والازدواجية تتجاوز البعد الاجتماعي حتى تصل إلى البعد الاقتصادي حيث يوجد في هذه البنى نظامين اقتصاديين:

الأول: حديث ينتج للنخب المحلية أو للتصدير، يعتمد على التقانة والتكنولوجيا المتقدمة، ومحكوم بعلاقات إنتاجية نوعية متطورة في كافة مجالات النشاط الاقتصادي.

الثاني: متخلف يندد للاستهلاك الذاتي (خارج نطاق التبادل) اقتصاد طبيعي، ضعيف المحتوى التكنولوجي والتقني في كافة المجالات الاقتصادية.

وتتجاوز الازدواجية البُعدين الاقتصادي والاجتماعي لتصبح أكثر عمقاً في المجال الثقافي حيث يصبح المجتمع منقسماً إلى ثقافتين:

الأولى: حديثة وعصرية مرتبطة بقطاع الإنتاج الاقتصادي الحديث إنتاجاً واستهلاكاً.

الثانية: راكدة ومتخلفة مرتبطة بالقطاع الاجتماعي والاقتصادي التقليدي، تحكمها قيم وعادات ومورثات بالية ومتخلفة.

مرتكزات النظرية البرجوازية (نظريات التحديث الغربية):

تنطلق نظريات التحديث البرجوازية في تفسير التخلف الاقتصادي والاجتماعي من مجموعة من الأسس والمنطلقات النظرية، أهمها:

١- إن مسار الحضارة والتطور الغربيين، هما المسار الأوحده للتقدم، وعليه فإن التخلف والتقدم ليست إلا مسألة تأخر زمني، وبالتالي إن البلدان المتخلفة عليها أن تسلك المسار الغربي للقضاء على التخلف.

٢- التخلف ليس أكثر من مرحلة تاريخية يمكن تجاوزها، لأن التنمية ذاتها هي عملية مرحلية تحتاج إلى زمن ومراحل لا بدّ منها (نظرية روستو - مراحل النمو).

٣- تختزل نظريات التحديث الحضارة الغربية بالجانب التكنولوجي فقط وهو ما يجب نقله إلى الدول المتخلفة كي تتقدم.

٤- تختزل نظريات التحديث البرجوازية الغربية المجتمع اختزالاً تعسّياً من الناحية المعرفية، وتعتبره ليس أكثر من تركيبات ثنائية (حديثة-تقليدية)، (ديناميكية-متكلسة وراكدة)، (رأسمالية-إقطاعية).....

نقد نظريات مدرسة التحديث البرجوازية:

لقد تمّ توجيه العديد من الانتقادات للأسس والمنطلقات التي انطلقت منها مدارس التحديث البرجوازية الغربية، ومن أهم هذه الانتقادات:

(١) تنطلق من منهج سلوكي لاقتفاء أثر الظواهر الاجتماعية والسياسية، بمعنى آخر: تنطلق من منظور أن ثمة معطيات وثابت في السلوك الاجتماعي، يمكن أن تستخدم كقوانين عامة للقضاء على التخلف، وهذا غير مقبول من الناحية العلمية، فظاهرة التخلف لا يمكن أن نتعامل معها من منظور توصيفي ينطلق من السلوك، فالسلوك هو أو قد يكون نتيجة للتخلف، وليس سبباً يمكن البناء عليه في توصيف الظاهرة.

(٢) تعتمد منهجاً تبسيطياً، حيث إنها تعتقد بأن التنمية عملية ممكنة في الدول المتخلفة، فيما لو استطاعت هذه البلدان أن تحدث تغييراً في طبيعة الأفكار السائدة في السلوك الفردي والاجتماعي هذا من جهة، فيما لو امتثلت لتطبيق وصفات ونظريات غربية، وهذا منطق تبسّطي واختزالي، فالوقائع والمعطيات لم تؤكد على الدوام نجاح تجارب الاستنساخ والنقل، ولا يوجد وصفة فعلية جاهزة لكل زمان ومكان.

(٣) تركّز على دور الجوانب الاجتماعية السلوكية والقيمية، كما تركّز على الجوانب الفردية السلوكية والنفسية، وبذلك فهي تفسّر جوانب (ظواهر) لها

أسس وأسباب موضوعية بغير أسبابها، فمثلاً هي تتجنب الإشارة إلى الدور الذي تضطلع به العلاقات الدولية الراهنة غير المتكافئة، والتي لا تصب في مصلحة الدول المتخلفة في تفسير التخلف، كما تتجنب الإشارة إلى دور الاستعمار تاريخياً في تفسير هذه الظاهرة وتكريسها كحالة اقتصادية واجتماعية وثقافية.

(٤) تركّز هذه النظريات على دور المنظمين والمبادرين والقياديين... الخ، وهي لذلك تعتبر أن لهذه الفئات خصائص معينة، وهذه الخصائص لا يمكن أن تتوافر إلا في بيئات معينة، يجب العمل لأجل تأمينها، وتأمينها لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال تقليد واستيراد نماذج وأفكار غربية، وهذا غير صحيح لا زمنياً ولا مكانياً.

(٥) هذه النظريات عنصرية، لأنها تعتبر أن التقدم موجود في الغرب، يملك الغرب خصائص سوسولوجية وبيئية تحتضن التقدم وتحفّزه، أما خصائص الشرق المتخلف السوسولوجية والسيكولوجية والبيئية، فهي كابحة ومقيدة، وهذا الشرق المتخلف بخصائصه الراهنة هو شرق عقيم، لا يمكن أن يتقدم بأفكاره وأدواته وقيمه، وهذه كلها مجرد افتراضات غير عقلانية أو منطقية.